سلاح المعلومات

ودوره في تاريخ الصليبيين

خلال المرحلة

من ١٠٩٥ إلى ١١٨٧ م

إعـــــداد

أ.د. محمد مؤنس عوض

أستاذ تاريخ العصور الوسطى

بجامعتي عين شمس والشارقة

سلاح المعلومات ودوره في تاريخ الصليبيين
خلال المرحلة من ١٠٩٥ إلى ١١٨٧ م

يتجه هذا البحث إلى دراسة جانب مهم ومحوري ، في صورة سلاح المعلومات ودوره في تاريخ الصليبيين في الشرق ؛ من أجل فهم طبيعة الغزو الصليبي الذي تعرضت له بلاد الشام وشمالي العراق ومصر في أخريات القرن الحادي عشر الميلادي ، وأستمر على مدى قرنين من الزمان من بعد ذلك .

وبداية من المقرر أن من يتصدى لدراسة تلك الناحية تواجهه صعوبة في صورة عدم توافر مادة تاريخية في المصادر العربية المعاصرة والمتأخرة التي تفيض بالحديث عن الصدام الحربي بين المسلمين والصليبيين في صورة عشرات المعارك التى حدثت بين الجانبين، خاصة في مناطق الحدود.

ومما صعب الأمر بالنسبة لنوعية تلك المصادر ، عدم وجود من دخل إلى مناطق الصليبيين من المسلمين إلا القليل النادر مثل أسامه بن منقذ (ت ١١٨٦م) وإبن جبير (ت ١٢١٧ م) ، مع ملاحظة أن منهما – خاصة الأخير – لم يمكث في المناطق الصليبية إلا فترة قصيرة على نحو لم تمكنه من تقديم معلومات تفيد في إلقاء الضوء على أسلوب الصليبيين في التعامل مع المشكلات التي واجهتهم ، خاصة فيما يتصل بالجانب المعلوماتي وهو أمر متوقع بطبيعة الحال .

أما المصادر الصليبية فعلينا عند الإتجاه إليها إستنتاج إشارات متناثرة هنا وهناك من أجل إدراك ذلك الجانب ، مع ملاحظة أن هناك فجوات متسعة في تلك المصادر من خلال إهتمام المؤرخين الصليبيين – هم أيضاً – بالجانب الحربي والسياسي ، بإستثناء إشارات بالغة الأهمية وردت بصوزة عرضية وتحتاج إلى الربط بينها وإيجاد علاقة مشتركة ؛ لفهم طبيعة ذلك الجانب الحيوي في تاريخهم .

ومن المهم الإقرار بأنه إذا قيل أن عصرنا الحالي عصر المعلومات ، وأن من يملكها تصبح موازين القوة في قبضته ، فعلينا إدراك أنه في عالم العصور الوسطى ، وخاصة خلال العصور الوسطى العالية أو الناضجة كان الأمرينطبق عليها أيضاً ، فمن غير المتصور أن تقوم الحروب الصليبية كحركة تاريخية كبرى في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب وحرب عالمية شنها الغرب الأوروبي الكاثوليكي ضد الشرق الإسلامي في العصور الوسطى – بدون الإعداد لها ببراعة وتوافر قاعدة معلومات – بمقاييس العصور الوسطى بالطبع- عن الطرف الذي تم تخطيط العدوان على حسابه وأعني به المسلمين .

والواقع أن الصورة الذهنية العامة والشائعة عن الصليبيين على إعتبار أنهم مجرد فرسان أشداء خاضوا غمار المعارك ضد المسلمين وأشاد بفروسيتهم المسلمون كما في حالة أسامه بن منقذ (ت ١١٨٨م) لا تعكس كل الحقيقة ، ولا تكشف لنا إلا عن جانب واحد من تاريخ أولئك الغزاة في الشرق ، فلم يكن الصليبيون مجرد محاربين أقوياء ، بل توافر لديهم سلاح المعلومات الفعال الذي مكنهم من تحقيق الإنجازات الإستعمارية – أي الإستخرابية – على حساب المسلمين ، وإمتلكوا دهاء المستعمر وتآمره ورتبوا الأولويات وخططوا لها بدقة .

والواقع أن منذ البدايات الباكرة لتاريخ الحركة الصليبية ، بل من قبل تنفيذها على أرض الواقع بصورة فعلية ، نرجح بل نؤكد على أن المشروع الصليبي ما كان من الممكن أن يقوم أصلاً دون توافر معلومات كافية عن المسلمين، ولا أدل على ذلك من أن المؤرخ الجنوي البارز كفارو الكاسيكفلوني[١] (حوالي ١٠٨٠ أو ١٠٨١ – ١١٦٦ م) في كتابه تحرير مدن الشرق ، قدم لنا إشارة فريدة ونادرة مفادها أن إثنين من قادة المشروع الصليبي وهما جود فري دي بويون[٢] ، وكذلك روبرت أوف

فلاندرز حدد أسمها وهي بوميلاً عام ١٠٨٣ ـ ١٠٨٥ م [٣] أي قبل إندلاع الحروب الصليبية بنحو عشرة أعوام فقط.

حقيقة ، أن تلك الرواية لم يرد في المصادر التاريخية الصليبية المعاصرة أو المتأخرة ما يؤيدها ، إلا أن إشتراك كفارو في أحداث الحملة الصليبية الأولى ، وكونه شاهد عيان على جانب منها ، وما إتسم به تاريخه من ثراء في التفاصيل ، وإيراده لإسم تلك السفينه تحديداً وعلى هذا النحو الصريح يجعلنا ندرك أنها غير مستبعدة من خلال تدفق حركة الحج المسيحي إلى الأماكن المقدسة في فلسطين خلال ذلك الحين ، وكذلك من خلال إيقاع الأحداث نفسه في ذلك العصر .

و لا ريب في أن ذلك دل على أن كبار قادة المشروع الصليبي المرتقب عاينوا المنطقة التى سيحدث فيها بعد أعوام قليلة الصراع بين الصليبيين والمسلمين وبالتالي لم تكن مجهوله لديهم وهذا هو المهم في الأمر .

من ناحية أخرى لم تكن الدعوة للحروب الصليبية من خلال مجمع كليرمونت بفرنسا وخطاب البابا أوربان الثاني (١٠٨٩ ـ ١٠٩٩ م) خلاله في٢٧ نوفمبر١٠٩٥ م[٤] ، لم تكن من قبيل المصادفة أو المفاجأة ، حيث قام البابا بالدعوة لتلك الحروب في نهاية إنعقاد مجمع كنسي عقد أصلاً لمناقشة عدد من القضايا الدينية والكنسية الصرفة، وهكذا ، فإن ذلك جاء من خلال خطة مدبرة ، والمرجح أن المجمع المذكور كان أشبه بمسرحية مضمونة النجاح شارك فيها الحاضرون الذين صاحوا صيحة شهيرة واحدة هي الله يريد ذلك ، ومما يدعونا إلى ذلك التصور أن البابا عانى من قبل من فشل دعوته في مجمع (بياكنزا) بإيطاليا ، ولذلك فكر في الدعوة لذلك الأمر في فرنسا ـ حيث موطنه الأصلي ـ من أجل تجنب تجربته السابقة في إيطاليا وخطط لها على ذلك النحو . ومن المتصور أن ذلك المجمع الذي ولدت فيه الحركة الصليبية ، كان

معبراً عن التخطيط والإعداد الذي سينعكس على أحداث المواجهة بين المسيحية والإسلام في ذلك العصر .

والدليل على أن تلك الدعوة في ذلك المجمع الشهير لم تكن مصادفة أو مفاجأة أن علينا ألا نتصور دور أوربان الثاني حينذاك منفصلاً عن جهود الباباوات السابقين في صورة الكسندر الثاني (١٠٦١ - ١٠٧٣م)، وجريجوري السابع (١٠٧٣ – ١٠٨٥ م) ، وقد كان لهما إسهامها في التفكير والإعداد للمشروع الصليبي ، إلا أن أوربان الثاني هو الذي أعلن ذلك الأمر كتتويج لمرحلة سابقة ممهدة له ومقدمه لمرحلة صاخبة الأحداث تالية .

ومن المتصور أن البابوية عندما دعت للحروب الصليبية كانت قد تخيرت التوقيت الملائم تماماً لذلك الحدث ، وجاء ذلك متفقاً مع الإعتقاد العام بقرب بحدوث الألفية الأولى بعد رحيل السيد المسيح ورغبة أعداد غفيرة في الحج إلى بيت المقدس ، كما أنها حصلت على معلومات كافية عن أوضاع المسلمين في بلاد الشام والعراق ومصر ، وأدركت أمر التصارع المذهبي السني – الشيعي والتشرذم السياسي الذي حل بالمسلمين وإنقسامهم بين خلافتين متناحرتين كل منهما لا تعترف بالأخرى وهي عباسية سنية في بغداد وفاطمية شيعية في القاهرة ، خاصة أن بلاد الشام غدت منطقة وسطى بينهما تعاني التفكك بعد تفكك الدولة السلجوقية وظهور نظام الأتابكيات[٥] الذي كرس التفكك والتجزئة – وإن لم يكن هناك واقعاً بديل عنه – على نحو جعل من تلك المنطقة نطاق جغرافي مخلخل من منظور جيوبولوتيكي ، وصارت بالتالي مهيأة أكثر من أي وقت مضى لدخول قوة سياسية غازية تحسم الأمور لصالحها على حساب القوى الإسلامية المتناحرة التي مهدت – دون أن تدري – لذلك كله من خلال إنقسامها.

وهكذا ، فإن توقيت مجمع كليرمونت عام ١٠٩٥ م لم يكن عشوائياً البته ، بل أن " قاعدة المعلومات " التى توافرت للبابوية من خلال التجار ، والحجاج، والجواسيس جعلها تتجهز وبدقة لهجومها على الإسلام في عقر داره .

فإذا أضفنا إلى ذلك ما تردد من تحالف فاطمي – صليبي من أجل مواجهة القوة السلجوقية السنية، وهو أمر أشار إليه المؤرخ العراقي البارز إبن الآثير الجزري[٦] (ت ١٢٣٢م) ، كما أن المصادر التاريخية الصليبية المعاصرة للقرن الثاني عشر الميلادي أشارت إلى مقدم سفارة فاطمية لتعرض التحالف مع الصليبيين خلال حصارهم لأنطاكيا ١٠٩٧– ١٠٩٨م [٧]، إذا أضفنا ذلك كله إلى حساباتنا ؛ أدركنا أن القضية كانت إعداداً محكماً ومسبقاً وتحالفات وتوازنات وقوى أفرزت في النهاية ذلك المشروع الصليبي الذي يدعونا للدهشة ، فكيف تمكن القائمون عليه من تحقيق تلك النجاحات السريعة وغير المسبوقة في غضون سنوات قليلة ؟ ولا تعليل لذلك سوى دهاء التخطيط وسرعة التنفيذ بإتقان، وإستغلال الفرصة التاريخية للأعداء لضرب الإسلام في عقر داره والإستقرار في بلاد الشام وأعالي الفرات لأول مرة منذ القرن السابع الميلادي .

ومنذ بداية الغزو الصليبي للمنطقة نلاحظ بجلاء أن الغزاة تحركوا وفق خطة مدروسة على نحو يؤكد أنهم إتسموا بوضوح الهدف وإستخدام أفضل وأسرع الوسائل لتحقيقه، ومثال ذلك تفضيلهم للمناطق الداخلية من بلاد الشام عن تلك الساحلية التي يحتاج إسقاطها إيى قوة بحرية كبيرة ووقت طويل ، وكذلك للإفادة من التركيبة الطائفية والعرقية للمنطقة من خلال المراهنة على الدعم الماروني للمشروع الإستعماري الصليبي [٨]، وهو ما أكدته وقائع الأيام فيما بعد ، على نحو جعل المؤرخين الصليبيين يشيدون بوقوف موارنة لبنان بجوار الصليبيين منذ البواكير الأولى لذلك المشروع الإستعماري .

ومنذ وقت مبكر ، أدرك الغزاة أهمية المياه في حسم قضايا عديدة لصالحهم ضد المسلمين ، ولذلك حرصوا الحرص أجمعه على وضع منابع ومسارات ومصبات العديد من الأنهار الشامية في قبضتهم ؛لحرمان المسلمين من مصدر الحياة ، ومن ذلك إخضاعهم لأنهار لبنان وغيرها مثل : أسطوان ، والعاصي ، وعرقة ، والبارد ، وأبو علي ، وإبراهيم ، والجوز ، والكلب ، وبيروت ، والحاصباني ،والدامور، والليطاني، والزهراني ، والأولى [٩]، بل حدث صراع محموم بين المملكة الصليبية وحكام دمشق سواء في عهد الدولة البورية أو الدولة النورية من بعد ذلك لإخضاع مرتفعات الجولان ، ليس فقط لتهديد دمشق عاصمة بلاد الشام التاريخية ، بل من أجل الأمن المائي أيضاً .

وقد تم تدعيم تلك السيطرة الصليبية على الأنهار السالفة الذكر من خلال شبكة من القلاع الصليبية الحصينة ، وكان من أهداف قيامها إخضاع الأرض والمياه معاً لسيطرة الغزاة على نحو يدعم تماماً التصوربأن حرب المياه التي تشهدها منطقتنا العربية بدأت جذورها الحقيقية منذ عصر الحروب الصليبية .

ومن الأمور ذات الدلالة العميقة أن السيطرة الصليبية على المياه على حساب المسلمين حسمت خلال العقدين الأولين من بداية وجودهم في المنطقة، وهو أمر نلاحظه من خلال عهد الملك الصليبي المؤسس بلدوين الأول [١٠] (١١٠٠– ١١١٨م) ، وتأكد لنا بالتالي أن ذلك كله ما كان سيحدث بدون التخطيط وترتيب الأولويات وتوافر قاعدة معلومات عن أعدائهم على نحو مكنهم من تحقيق أهدافهم المتعددة إقتصادياً وسياسياً وتنصيرياً من وراء غزوهم لتلك المنطقة الإستراتيجية التي يمكن إعتبارها في العصور الوسطى ، من خلال توافر الأماكن قلب العالم المقدسة بها للمسيحية والإسلام ووقوعها على خطوط التجارة العالمية على نحو ميزها عن غيرها

من بقاع العالم وجعلها محط أطماع الآخرين خاصة من جانب الغرب الأوروبي الذي كان يترصد لها لتوسيع نفوذه شرقاً .

من جهه أخرى ، نلاحظ أن الإستيطان الصليبي في فلسطين والذي تمثل في إقامة عدد من المستوطنات مثل البيرة ، وكفر مالك ، والقبيبة ، وأخزيف وغيرهما ، ما كان من الممكن أن يقوم على نحو عشوائي ، بل من خلال إدراك الغزاة الكامل للخريطة المائية لفلسطين خاصة الضفة الغربية لنهر الأردن حيث أكبر مخزون للمياه الجوفية في فلسطين، كذلك تم إقامة حاجز بشري دفاعي وإقتصادي صليبي من خلال الأوروبيين الأحرار الذين وجدوا في تلك المستعمرات وعملوا بالزراعة والحرف ، وكذلك واجهوا هجمات المسلمين على مناطق الإحتلال الصليبي .

ومنطقي أن حركة الإستيطان الصليبي في فلسطين لم يكن من الممكن قيامها بدون معرفة الطبيعة الجغرافية للمنطقة ، وتدل مؤلفات الرحالة الأوروبيين [١١] – الذين زاروا مملكة بيت المقدس الصليبية على مدى قرني التاريخ الصليبي في المنطقة – على إتساع وتنامي معرفة الغزاة بكل بقعة تحت سيطرتهم وحتى تحت سيطرة أعدائهم كذلك .

وقد وصلت معارفهم في المجال المذكور إلى ذروتها في صورة ما كتبه الرحالة الألماني بوركهارد من جبل صهيون في خلال القرن ١٣ الميلادي[١٢] ، ولا ريب في أن الغزاة صاروا خبراء بالمنطقة طبوغرافياً وديموغرافياً وعرقياً وكذلك طائفياً .

كما أن مطالعة الجانب الجغرافي في تاريخ الأعمال الذي أعده المؤرخ الصليبي الأشهر وليم الصوري يعكس لنا أننا أمام تدفق معلوماتي عن شرقي البحر المتوسط على نحو خاص ، حيث تناول المدن وأسماءها وما ورد عنها في العهدين

القديم والجديد وما إشتهرت ... موارد إقتصادية، فلا عجب ... ما وصفت الحروب الصليبية أصلاً بأنها محاولة من جانب الغرب لإكتشاف الشرق في العصور الوسطى، وإن لم يتم تحقيق ذلك بطبيعة الحال إلا من خلال شكل عسكري عدواني .

كما لا نغفل أنه عندما تزايدت قوة صلاح الدين الأيوبي ، وظهر بجلاء إتجاهه نحو الوحدة وجعل القاهرة ودمشق قاعدتي الوحدة بين مصر وبلاد الشام دعماً (للشامصر) وهي الرابطة الجغرافية والتاريخية بين بلاد الشام ومصر عبر التاريخ ؛ أدرك الصليبيون – أكثر من أي وقت مضى – حجم الخطر الداهم المحدق بهم ، خاصة أنه إستفاد من سهول الوديان الفيضية التي

تحت قبضته مثل النيل والفرات والعاصي من أجل تجنيد أكبر قوة ضاربة في الشرق ، حين عانى الغزاة من مشكلة مزمنة أرقت مضاجعهم في صورة نقص العنصر البشري ، ولم يجدوا حلاً ناجحاً لها ولم تحل إلا بطردهم من بلاد الشام بإسقاط عكا في قبضة المماليك عام ١٢٩١ م [١٣] ، وقد حاولوا مواجهة ذلك الوضع المتأزم من خلال إستقدام الحجاج من الغرب الأوروبي ودعوتهم للإقامة في المنطقة، وكذلك أقاموا العمائر الحربية لتثبيت كيانهم وتعويض الفجوة السكانية المذكورة ، وعلى الرغم من ذلك كان الجانب الإسلامي هو الرابح على المستوى الديموغرافي في مواجة الصليبيين مما مكنه من إكتساب ميزة إستراتيجية لم تتوافر للطرف المعادي .

وأمام تعاظم خطر ذلك السلطان الأيوبي الخبير ، إتجه الصلبيون إلى إجراء أكد الطابع (العلمي) للكيان الصليبي وحرصهم على دعم (قاعدة بياناتهم) والحصول على المال اللازم من وراء ذلك .

و يعد وليم الصوري بمثابة مصدرنا الصليبي الرئيسي عن ذلك الأمر ، إذ قدم لنا تفصيلات لم تتوافر لدى غيره ، فقد أوضح أن إجتماعاً عاماً عقد في عام ١١٨٣م، ضم جميع نبلاء المملكة الصليبية للتداول في الخطر المحدق بالصليبيين وتقرر لذلك

السبب إستخدام كل وسيلة ممكنه لمقاومتة[١٤]، أو على حد قوله: " تقرر بالإجماع وبعد مداولات مطولة وتعبير عن آراء مختلفة أن يجري إحصاء لجميع مناطق المملكة فإذا توافر بيان كهذا ، فسيكون ممكناً في ظرف طارئ للحصول على قوات من المشاه والفرسان حيث يجدنا العدو في حالة عودته مستعدين للمقاومة" [١٥]، وفي هذا الدليل على التخطيط والإستعداد وتوقع الأمور من قبل حدوثها .

وإلى جانب الناحية الإحصائية تقرر جمع المال دعماً لخزانة الصليبيين ، إذ يقرر نفس المؤرخ "كان الملك والنبلاء قد صاروا إلى حالة يائسة من العوز ، لدرجة أن العائدات لم تكن كافية أبداً للنهوض بأعباء الإنفاق الضروري ، ولذلك توجب جمع المال من الناس جميعاً"[١٦] .

ويقدم ذلك المؤرخ تفصيلات خاصة بالضريبة التي تم فرضها لمواجهة الموقف المتأزم للكيان الصليبي حينذاك ، حيث تقرر دفع دينار واحد عن كل ١٠٠ دينار من العائدات ، وتم الإتفاق على جمع تلك الأموال ونقلها إلى بيت المقدس ، والإقرار بأن ذلك المال الذي تم جمعه لن ينفق إلا في أغراض الدفاع عن أملاك الصليبيين [١٧] .

إن السطور السابقة تؤكد لنا على أن الغزاة أدراروا أمورهم على نحو (علمي) دقيق يتوقع المستقبل القريب على الأقل ، وتوصلوا إلى قراراتهم من خلال عقد المؤتمرات العامة التي طرحت فيها قضاياهم بحرية تامة ، وتم تبادل الرأي والرأي الآخر فيها ، ولذلك كان إتخاذهم لقراراتهم على نحو دقيق دونما إندفاع أو عشوائية .

مع ملاحظة أن أسلوب عقد المؤتمرات لدى الصليبيين لم يكن وليد ذلك الموقف المتأزم فقط، بل في كل مرة كانوا يعانون من مصاعب إتجهوا إلى ذلك الحل، ولا أدل على ذلك من عقد مجمع نابلس في يناير عام ١١٢٠م[١٨] ، عندما داهم المملكة

هجوم من أسراب الجراد على نحو هدد إمكاناتهم الزراعية الأساسية ، ولا شك في أنهم على مدى القرن الثاني عشر الميلادي إكتسبوا خبرة في أسلوب إدارة تلك المؤتمرات والتوصل إلى أفضل القرارات من خلالها .

بصفة عامة ، فإن ذلك الموقف الذي إتخذوه فيما يتصل بفرض تلك الضريبة، قد ترك أثره على النظام الضرائبي في الغرب الأوروبي نفسه، مثلما لاحظنا ذلك في عهد كل من هنري الثاني ملك إنجلترا(١١٥٤-١١٨٩م)، وفليب الثاني أغسطس ملك فرنسا (١١٨٠ - ١٢٢٣م)[١٩] .

الواقع أن من الخطأ البين التعامل مع قضايا الشرق اللاتيني بنوع من الرؤية الإقليمية المحدودة القاصرة على أوضاع غربي آسيا خلال تلك المرحلة ، إذ لا تفهم قضاياه بمعزل عن الغرب الأوروبي الذي كان بمثابة الوطن الذي نبعت منه الصليبيات أصلاً ، وهكذا نجد في تاريخ إنجلترا ذاتها حتى قبل عقدين من إندلاع الحروب الصليبية أمر إنتصار وليم دوق نورمنديا المعروف في التاريخ بوليم الفاتح 1066-1087 على عناصر في معركة هاستنجز الفاصلة السكسون عام ١٠٦٦م[٢٠] وعندما أراد حكم إنجلترا إتجه إلى إعداد ما - وهو مصدر تاريخي عرف بالدومسداي بوك على جانب كبير من الأهمية عن تلك المرحلة الفارقة في تاريخ إنجلترا في العصور الوسطى -

الذي أحصى فيه كافة الأمراء والثروات العقارية والحيواتيه التي وجدت في إنجلترا حينذاك من أجل أن يحكمها على أساس علمي صحيح ، وإذا كان ذلك قد حدث في الثلث الأخير من القرن الحادي عشر ، فإن الثلث الأخير من القرن القرن التالي وأعني به الثاني عشر ، زادت فيه خبرة الغرب الأوروبي وإمتداده الجغرافي والتاريخي الإستعماري ، ولذا لم يكن غريباً والأمر كذلك أن لجأ الصليبيون إلى الإسلوب الإحصائي على نحو شرقي البحر المتوسط دعانا إلى التصور بإتجاههم

نحو إمتلاك معلومات لما تحت أيديهم من إمكانات وطاقات تمكنهم من مواجهة الظروف العصيبة المحيطة بهم .

وفي المقابل ، نجد أنه فيما بعد إمتلك صلاح الدين الأيوبي شبكة ممتازة من الجواسيس التي وفرت له قاعدة معلومات حيوية عن أعدائه على نحو أشاد بها [٢١] مما مكنه المؤرخ البريطاني برنارد هاملتون من تحقيق نجاحات غير مسبوقة في تاريخ حركة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين، وقاد المسلمين نحو إنتصار تاريخي في معركة حطين ١١٨٧م [٢٢]، وبمعنى أدق إنتقل للمسلمين مميزات أعدائهم في عصر قوتهم وبالتالي تفوقوا عليهم .

أما إذا ما إتجهنا صوب التنصير [٢٣]، حيث أعدت البابوية في روما مشروعاً متكاملاً من أجل تنصير المسلمين في الشرق الأدنى كي يتحولوا ليصبحوا مسيحيين تابعين لكنيستها الكاثوليكية التي إعتبرت نفسها سيدة كنائس عالم المسيحية ، فسنجد ملمحاً آخر لسلاح المعلومات لدى الصليبيين ، فلا نغفل أن النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي شهد إكتمال ترجمة القرآن الكريم لأول مرة إلى اللغة اللاتينية[٢٤] بفضل جهود مدرسة طليطلة بالأندلس وقد قام بها العالم الإنجليزي روبرت كتون وأشرف عليها بطرس المبجل [٢٥] الترجمة تحت أيدي، وقد صارت تلك المنصرين في كل مكان ، وقد علق ريتشارد سوذرن عليها قائلاً " شكلت المعلم البارز والأساس في مجال الدراسات الإسلامية بأوروبا الغربية الوسيطة ، قدمت الترجمة القرآنية للغرب الركيزة الأساسية والمأمونة للبدء بدراسات حقيقية حول الإسلام " [٢٦] مما عكس أهمية وعمق تأثيرها ، وذلك على الرغم من النقد الذي وجه إليها ، ولا ريب في أنها جعلت الصليبيين يتعاملون مع المسلمين من خلال أساس ديني عقائدي في صورة القرآن الكريم ، ولا نغفل أن تلك الترجمة كانت الأساس الذي قامت عليه العديد من الترجمات الأوروبية الأخرى في العصر الحديث مما عكس أهميتها .

ومنطقي أن ما حدث في غربي البحر المتوسط إنعكس بالضرورة على شرقيه، وتم تداول تلك الترجمة المذكورة لدى القائمين على التنصير في بلاد الشام ، فلا عجب إذا أدركنا أن الرحالة الألماني بوركهارد من جبل صهيون طالع تلك الترجمة وأشار إليها (٢٧) في رحلته ، وجاء ذلك وسط حدوث جدل ديني بين المسلمين والصليبيين في ذلك العصر .

وهكذا يتضح لنا أن الغزاة كانوا يدركون أهمية العلم كسلاح ، وبالتالي ترجموا القرآن الكريم وهو دستور حياة المسلمين في كل مكان وزمان .

ويلاحظ هنا أن أمر الترجمة لم يكن قاصراً على الجانب الديني فقط ، بل تعداه إلى مجالات أخرى من أجل الحصول على المعلومات في مختلف الجوانب ، وفي هذا النطاق تمت ترجمة مؤلفات عربية إلى اللغة اللاتينية للإفادة منها ، ونجد مثالاً واضحاً دالاً على ذلك في صورة ترجمة ستيفن الأنطاكي عام ١١٢٧ م للكاتب علي بن عباس المجوسي (ت. ٩٩٤ م) ، بعنوان :كامل الصناعة الطبية أو الملكي(٢٨) وقد أفاد الصليبيون منه فائدة كبيرة في الناحية العلاجية ، وتلك هي الترجمة الثانية بعد تلك التي قام بها قسطنطين الأفريقي (١٠٢٠ – ١٠٨٧ م) .

ويلاحظ أن الكتاب المذكور تم تدريسة في مدرسة سالرنو الطبية بإيطاليا(٢٩) ولا مراء في أن أمر الترجمة في المثالين السابقين الديني والطبي يدلان دلالة قوية على أن الغزاة لم يكونوا مجرد فرسان محاربين – كما إعتادت المصادر العربية تصويرهم – بل مخططين ومدركين لأهمية سلاح المعلومات في عصر المواجهة الشرسة بين عالمي المسيحية والإسلام ، بل إعتبروا الحصول على المعلومات عن المسلمين والإفادة من نتاجهم الفكري أمراً حيوياً وضع في صدر إهتماماتهم وكان للترجمة دورها البارز في هذا المجال .

ولا نغفل كذلك ملاحظة أنه حتى بعد طرد الصليبيين من بلاد الشام بإسقاط عكا عام ١٢٩١ م، ظهر إتجاه مثله المنصرريموند لول (١٢٣٥-١٣١٥)[٣٠] الذي إنتمى إلى الرهبان الفرنسيسكان ، والذي طالب بضرورة دراسة لغات الشرق وآدابه للإعانة على التخطيط لمشاريع التنصير، وكان لذلك المنصر دوره البارز في أن وافق مجمع فيينا عام ١٣١١م على تأسيس ست مدارس متخصصة في دراسة اللغات الشرقية في القارة الأوروبية [٣١] ؛ على نحو مهد لحركة الإستشراق [٣٢] فيما بعد التي سارت- في غالبها- في ركاب حركة الإستعمار الأوروبي الحديث ، بصورة أكدت على أهمية سلاح المعلومات للقوى الصليبية في الغرب الأوروبي حتى بعد فشل المرحلة الشامية من المشروع الصليبي .

وحتى بعد إنتهاء ذلك العصر ، ظل الصليبيون حريصين أشد الحرص على تدفق المعلومات عن مناطق المسلمين كإمتداد للمرحلة من ١٠٩٥ إلى ١١٨٧ م وما تلاها ويتمنون الفرصة السانحة من أجل توجيه ضربات [٣٣] إنتقامية ضدهم والمطالع لما ألفه مارينو سانوتو يدهش من حجم المعلومات المفصلة عن مناطق المسلمين ، وحجم المؤامرات التي تحاك ضدهم .

ويلاحظ أن ذلك كله كان يحظى بدعم البابوية ومباركتها ، ولا شك في التي درسها مفصلاً المؤرخ أن الصليبيات المتأخرة المصري الرائد عزيز سوريال عطية[٣٤]، أكدت أهمية سلاح المعلومات في المواجهة بين الطرفين ، على نحو يؤكد على أن المرحلة من ١٠٩٥ إلى ١١٧٨ م ما هي إلا مقدمة حقيقية لمرحلة تالية إستمرت من بعدها بل ودامت عدة قرون ولاتزال قائمة إلى يومنا هذا ، إذ أن الصليبيات ظاهرة تاريخية مستمرة [٣٥] ولاتزال ونحن في أوائل الألفية الثالثة نلمح ظلالها بين الحين والآخر بصورة لا يستطيع مؤرخ منصف إنكارها .

بصفة عامة من العرض السابق يمكن التوصل إلى النتائج المهمة التالية :-

أولاً :إن المشروع الصليبي مشروع تم إعداده في الغرب الأوروبي بدهاء وإتقان من خلال (قاعدة معلومات) توصل إليها القائمون عليه من خلال المشاهدة والمعاينة بالإضافة إلى التجار والحجاج والجواسيس ، وتم إختيار توقيته بدقة ، ولم يكن قائماً على المصادفة أو الإرتجالية أو العشوائية ، ولا ريب في أن تتبع تاريخ الصليبيين في بلاد الشام – في المرحلة موضوع الدراسة – يؤكد لنا على أن المستعمر وسع معارفه بالأرض ، ومواردها الإقتصادية ، وتركيبتها السكانية بعقائدها وطوائفها المتعددة بل والمتصارعة أحياناً ، على نحو ثبت أقدام الغزاة من خلال تزايد وإتساع قاعدة المعلومات التي توصلوا إليها والتي تزايدت مع تعاقب الأعوام ومع توافر خبرة عريضة لهم بأعدائهم المسلمين سلماً وحرباً .

ثانياً : لجأ الغزاة إلى أسلوب عقد المؤتمرات العامة ، من أجل بحث قضاياهم والتحديات التي واجهتهم ، وناقشوها من خلال مشورة عامة وبحرية تامة – ولا نغفل هنا الإقرار بأن الخطر كان يوحدهم- خاصة خلال القرن الثاني عشرالميلادي – وبالتالي كان صنع القرارالسياسي الصليبي يتم على نحو علمي مدروس ، أما في القرن الثالث عشرالميلادي فإن الخلافات عصفت بهم على نحو أضر بهم ضرراً بالغاً ، ومن المفترض أن ذلك الجانب في حرية إتخاذ القرار والمشورة الجماعية لم يكن متوافراً للمسلمين حينذاك بنفس الدرجة من خلال نصوص المصادر المعاصرة حيث يكون القرار في الفرد القائد الحاكم غالباً،وهو أمر يتضح بجلاء في مرحلة ما قبل صلاح الدين الأيوبي.

ثالثا : في عصر الحروب الصليبية عقدت تحالفات صليبية – فاطمية كما حدث في ظروف حصار أنطاكيا – كما أسلفت بالذكر – كذلك بين الصليبيين والموارنة كقوة محلية مسيحية إحتضنت المشروع الصليبي منذ بواكير أيامه الأولى ،

ومثل تلك التحالفات تدعم التصور المنطقي بأن الصليبيين إستغلوا الصراعات والخلافات الطائفية من أجل تحقيق مصالحهم العليا على حساب المسلمين بطبيعة الحال ، ومن المستبعد تماماً حدوث مثل تلك التحالفات دون معرفة تامة من جانب كل طرف بالطرف الآخر، بصورة تؤكد على أن الغزاة كانوا يتدبرون أمورهم بدقة وأن الجانب المعلوماتي سار جنباً إلى جنب مع كافة تحركاتهم السياسية والحربية ومهد لها.

رابعاً : تأكد للباحث أن ذلك الجانب العلمي وترتيب الأولويات ، والقرار الجماعي المدروس من خلال السماح بالرأي والرأي الآخر ، ومناقشة قضاياهم بحرية تامة ، كل ذلك كان – بلا ريب – عاملاً فعالاً أدى إلى إستمرار الكيان الصليبي في المنطقة ، إذ أن الأمر المؤكد أن الصليبيين – شئنا أم أبينا – إمتلكوا مقومات إستمرارهم في المنطقة ، مع الإقرار سلفاً أنهم قدموا لنهب المنطقة على نحو منظم وتحت شعار الصليب ، وإستغلوا ما وجدوه من خلافات في المعسكر الإسلامي وتمكنوا من صنع تاريخهم على حساب تناقضات المنطقة سياسياً وطائفياً وعرقياً لمدة قرنين كاملين من الزمان .

خامساً : في تصوري أن الصليبيين لم يكونوا فقط مجرد مؤسسة عسكرية – كما تظهرهم المصادر التاريخية الإسلامية – بل حرصوا على إمتلاك جانب المعلومات عن الجانب الآخر وما حققوه من نجاحات ما كان من الممكن أن تحدث إلا من خلال ذلك ، وأنعكس نفس الأمر في عصرنا على إسرائيل حيث إهتمت بالعلم والعلماء فصارت جامعاتها في مقدمة التصنيف الدولي وبتفوقها في ذلك المجال صارت هناك عدة فجوات تفصل بينها وبين العرب، على الرغم من يقين كاتب هذه السطور بأنها كيان عنصري إغتصب فلسطين من أصحابها الشرعيين .

لا شك في أن الإسرائيليين إستفادوا من تجربة الصليبيين على مدى المرحلة من ١٠٩٥ إلى ١١٨٧ م وحتى بعد ذلك ، فعملوا على إقامة مركز بحوث خاص بالحروب الصليبية بالجامعة العبرية بالقدس المحتلة لدراسة تلك التجربة الإستعمارية الثرية ، خاصة أنها وقعت على نفس الأرض التي أقيمت عليها إسرائيل على حساب فلسطين المتوغلة في جذورها عبر آلاف السنين ، ويكفي أن نشير هنا إلى جهود المؤرخ الإسرائيلي البارز يوشع براور[٣٦] (ت ٣٠ أبريل ١٩٩٠ م) الذي كون مدرسة من المؤرخين الإسرائيليين أفادوا من تجربة الصليبيات ، ويلاحظ أنه شخصياً كان مستشاراً للحكومة الإسرائيلية في قضايا التعليم الذي تنظر إليه إسرائيل بجدية كقضية (أمن قومي) !! .

بصفة عامة ، تمكنت إسرائيل بنجاح من إقامة قاعدة بحثية علمية ، متصلة بالغرب الأوروبي وأمريكا – وعلينا الإعتراف بذلك دونما مواربة – وتفوقت على العالم العربي الذي إنهمك في الإشباعات الأولية من طعام وشراب على نحو عمق الفجوات العلمية العديدة بينهم وبين عدوهم التقليدي للآسف الشديد .

ذلك عرض عن سلاح المعلومات ودوره في تاريخ الصليبيين خلال المرحلة من ١٠٩٥ إلى ١١٨٧ م .

الهوامش :-

* أهدي هذا البحث إلى روح أ.د. سعيد عبد الفتاح عاشور أستاذ أساتذة العصور الوسطى في مصر والعالم العربي الذي رحل عن عالمنا في يوم السبت الموافق ١٢/٩/٢٠٠٩ تغمده الخالق جل شأنه بالرحمة .

(١) **كفارو الكاسيكفلوني** Caffaro Caschifelone: مؤرخ إيطالي من مدينة جنوة ، ولد ام ١٠٨٠ أو ١٠٨١ م ، ووالده يدعى روستيكو حاكم وهي التى تعرف حاليا في إقليم نيجوبا باسم Caschifelone كاسكفيلوني Giuliu Della كاسترو فينو القريبة من جنوة ، وأمه هي جوليا ديلا فولتا Volta ، ويلاحظ وجود أخين لكفارو وهما أوبرتو ، وجيسكارد ، شارك كفارو في أحداث الحروب الصليبية في صورة الحملة الصليبية الأولى ، حيث ساهم في حصار قيسارية الشام ، وفيما بعد كتب مذكراته وضمنها تاريخه De Liberatione Civitatum المعروف باسم كتاب تحرير مدن الشرق ، وتتضح أهمية هذا المصدر على نحو خاص من خلال Orientis Liber إدراكنا لقلة عدد المؤرخين الإيطاليين الذين سجلوا أحداث الحروب الصليبية - عموما - مقارنة بالمؤرخين الفرنسيين، والإنجليز، والألمان ، عن كفارو انظر: مصطفى الكناني ، "المؤرخ الجنوي كفارو الكاسيكفلوني، سيرته، وأعماله وقيمتها التاريخية "، ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط ، ط.القاهرة ١٩٨٥م ، ج٣،ص٣٥٠،ص٣٦٤ ، هاري ألمر بارنز ، تاريخ الكتابة التاريخية ، ت.محمد عبد الرحمن برج ، ط.القاهرة ١٩٨٤ م، ج٢ ، ص١١٨ ، محمد مؤنس عوض، فصول ببليوغرافية في تاريخ الحروب الصليبية، ط.القاهرة ١٩٩٦ ، ص٢٨ .

(٢) عن جود فري دي بويون أنظر :

Fulcher of Chartres, History of the Expedition to Jerusalem, Tr. F.Rita Rian, Tennessee 1969, P.72, P80.

William of Tyre, A History of deeds done beyond the sea, Tr. E.A.Babcock and A.C.Krey, New York 1943, vol.I , P.43, P.47.

Pariscee, "Godfrey de Bouillon, le Croisade examplaire", H.T.XIVII, Année 1982, PP.18-25.

سرور عبد المنعم ،"جودفري دي بويون حاكماً للكيان الصليبي ١٠٩٩-١١٠٠م" ، مجلة بحوث الشرق الأوسط – مركز بحوث الشرق الأوسط – جامعة عين شمس ، عدد(١٤) عام ٢٠٠٤م ، ص ٢٢٩- ص٢٧٩، سعيد برجاوي ، الحروب الصليبية في المشرق ،ط. بيروت ١٩٨٤،ص١٧٦-ص١٩٠،عمر كمال توفيق ، مملكة بيت المقدس الصليبية ، ط. الأسكندرية ١٩٥٨م ، ص٦٢-ص٩٩ ، عبد الغني عبد العاطي، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور ألكسيوس كومينين (١٠٨١-١١١٨)، ط.القاهرة ١٩٨٣.

ولايزال بحث سرور عبد المنعم أفضل بحث بالعربية في موضوعه ، حيث خصص دراسته عن عام واحد فارق في تاريخ الصليبيين إعتماداً على العديد من المصادر والمراجع المتخصصة وإن لم يحظ بالتقدير الجدير به !!

(٣) مصطفى الكناني ، المرجع السابق ، ص ٣٥٩ .

(٤) عن ذلك إنظر :

Robert The Monk, in E.Peters, The First Crusade, the Chronicle of Fulcher of Chartres and other source materials, Philadelphia 1961 , P.14,Guilbert of Nogent, PP.10-33, Baldric of Dol, PP.6-10.

D.Munro,"The Speech of pope Urban at Clermont 1095", A.H.R., Vol. II, 1906, PP. 231-242.

H.E.Cowdry, "Pope Urban II and the Idea of Crusade", S.M., Vol.36 m 1995, PP.721-742.

حسن عبد الوهاب ، " دراسة تحليلية لخطب البابا أربان في كليرمونت ١٠٩٥م"، مجلة كلية الآداب – جامعة الأسكندرية عدد (٥١) عام ٢٠٠١ م، ص٢١٢-١٤٨ ، محمد مؤنس عوض ، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب ،ط. القاهرة ١٩٩٩- ٢٠٠٠م ، ص٦٥-ص٦٩ ، الإمبراطورية البيزنطية دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة ، ط. القاهرة ٢٠٠٧م ، ص٣١٦-ص٣١٧.

(٥) وفقاً للنظرية السياسية السلجوقية ، كان لكل إقليم من يحكمه من أعضاء البيت الحاكم، ثم تم إلحاق قائد تركي واحد من أولئك الأمراء ، حمل لقب أتابك ، وقد تحمل مسؤلية تدريبهم عسكرياً القادة العاديون، وعهد إليه أن يتزوج من أم عهدته وتزويجه من أحدى بناته ، عن نظام الأتابكيات أنظر: إبن خلكان ، وفيات

الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،ط.القاهرة ١٩٤٨م ، ج٢ ، ص ١٢١ ، هاملتون جب ،" تاريخ دمشق" ضمن كتاب صلاح الدين الأيوبي دراسات في التاريخ الإسلامي ، ت.يوسف أيبش ، ط.بيروت ١٩٧٣م ، ص٥٢- ص٥٤ ، عماد الدين خليل، عماد الدين زنكي ،ط.بيروت١٩٧١م، ص٢٣٦ ، حاشية(١٧٦) ، حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ط. القاهرة ١٩٤٥م ،ص١٢٥-ص١٢٩ ، نافع العبود، الدولة الخوارزمية ،ط. بغداد ١٩٧٨م ،ص٦،حاشية (١)، سليمان صائغ ، تاريخ الموصل ،ط.القاهرة ١٩٢٣م ، ص١٦٥ ، محمد مؤنس عوض ، في الصراع الإسلامي- الصليبي السياسة الخارجية للدولة النورية ٥٤١-٥٦٩ هـ / ١١٤٦-١١٧٤ م ، ط.القاهرة ١٩٩٨م ، ص٢٨-ص٢٩ .

(٦) الكامل في التاريخ ،ط. القاهرة ب ت، ج١٠ ، ص ١٠١ ، محمد مؤنس عوض ،الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٨١.

(٧) وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية، ت.سهيل زكار ، ط.دمشق ١٩٩٠م ، ج١ ، ص ٢٩٧ – ص٢٩٨ .

(٨) **عن دعم الموارنة للمشروع الصليبي إنظر :**

William of Tyre, Vol.II , P.459.

بطرس ضو ، تاريخ الموارنة الديني والسياسي والحضاري ، ط. ١٩٧٧م ، ج٣، ص ٤٣٥- ص٤٤٠ ، عمر كمال توفيق ،المرجع السابق ، ص ١١٤ ، زكي نقاش ، العلاقات الإجتماعية والثقافية والإقتصادية بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية ،ط.بيروت ١٩٥٨ م ، ص١٦١، لويس الحاج ، الجيش الفرنسي ،ط. بيروت ١٩٤٥م ، ص ٤٨ ، محمد مؤنس عوض، " أضواء على

موارنة لبنان عصر الحروب الصليبية" ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى ، مجموعة أبحاث مهداة إلى الإستاذ الدكتور قاسم عبده قاسم بمناسبة بلوغه الستين عاماً، ط.القاهرة ٢٠٠٣م ، ص١٩٩؛"رؤية مارونية لتاريخ الحروب الصليبية في بلاد الشام في القرنين ١٢ ، ١٣ م" ؛ بحث مقدم للنشر في مجلة بحوث الشرق الأوسط- مركز بحوث الشرق الأوسط- جامعة عين شمس- سبتمبر ٢٠١٠م.

K.Salibi, The Maronits of Lebanon under the Frankish rule, R.E.A., T.IV, Année 1957, P.289.

H.E.Mayer, The Crusades, Tr.J.Gillingham, Oxford 1972, P.276.

R.Smail, The Crusades in Syria and the Holy land, London 1974,P.161.

(٩)عن تلك الأنهار إنظر :

Daniel, Pilgrimage of the Russian abbot Daniel in the Holy places, tr.Wilson, P.P.T.S, vol.VI, London 1895, P.46.

السيد أحمد أبو العينين ، دراسات في جغرافية لبنان، ط. بيروت ١٩٦٨م ، ص٢٢٢، سامر مخيمر وخالد حجازي ، أزمة المياه في المنطقة العربية الحقائق والبدائل، سلسلة عالم المعرفة ، ط. الكويت ١٩٩٦م ، ص٣٧، محمد مؤنس عوض ، "دور عنصر المياه في تاريخ الصليبيين من ١٠٩٩ إلى ١١٨٧م / ٤٩٢ إلى٥٨٣هـ " ضمن كتاب الحروب الصليبية السياسية- المياه –العقيدة ، ط.القاهرة ٢٠٠٢م ، ص٦٩-ص٨٩.

و يلاحظ أن الأطماع الإسرائيلية في المياه العربيةهي بمثابة الإمتداد التاريخي للأطماع الصليبية في العصور الوسطى ، وعن تلك الأطماع الإسرائيلية إنظر :

غسان دمشقية، أزمة المياه والصراع في المنطقة العربية ،ط.دمشق ١٩٩٤م ، ص١٠٤- ص١١٧،عبد الله الدروبي ، " المياه في الإستراتيجية الإسرائيلية وآليات ووسائل تحقيقها "مجلة مستقبل العالم الإسلامي ،مركز دراسات العالم الإسلامي في مالطه،عدد (١٥) عام ١٩٩٥م،ص٤١- ص٤٣ ، طه المجذوب ، " المياه العربية في إستراتيجية إسرائيل الشرق أوسطية "، العدد المذكور ، ص٤٣-ص١١٠، سمير مصالحه ، مياه إسرائيل في العلاقات المائية العربية- التركية، العدد المذكور ص١١- ص١٤٦ ، أيمن نور الدين عمر ، الأطماع الإسرائيلية المعاصرة في المياه العربية ١٩١٨ – ٢٠٠٠ م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الإمام الأوزعي ببيروت عام ٢٠٠٤م ، دراسة علمية متميزة.

(١٠) عن بلدوين الأول أنظر :

فوشيه الشارتري ، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس ، ت. زياد العسلي ، ط.عمان ١٩٩٠م ، ص١٠٣ – ١٨٢ ، وليم الصوري ، المصدر السابق ، ج١ ،ص٤٧٧- ص٥٦٨ ، هنادي السيد محمود ، مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول(١١٠٠ – ١١١٨م / ٤٩٤ – ٥١٢ هـ)،ط. القاهرة ٢٠٠٨م ، ص٤٣-ص٢١٦ ، رسالة ماجستير متخصصة عن ذلك الملك الصليبي المؤسس وهي تحت إشرافي ، أسامه زكي زيد ، " حملات الرملة الثلاث ضد الصليبيين في عهد الوزير الفاطمي الأفضل ١١٠١ – ١١٠٥م / ٤٩٥ – ٤٩٩ هـ " ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الأسكندرية ، العدد (٢٩) عام ١٩٨١م، ص٣٨- ص٤٨ ، مصطفى الكناني ، حملة بلدوين الأول عام ١١١٨ أول حملة صليبية على مصر،

ط. القاهرة ب- ت، صلاح الدين نوار، العدوان الصليبي على العالم الإسلامي ٤٩٠ - ٥١٥هـ / ١٠٩٧ – ١١٢١م،ط. الأسكندرية ١٩٩٣م ، ص٣٣٥ – ص٣٥٤ ، مقدمات العدوان الإسرائيلي على مصر الإسلامية غارة بلدوين الأول على مصر وموقف الخلافة الفاطمية منها ٥١١هـ/١١١٧-١١١٨م ، ط.الأسكندرية١٩٩٤م ،ص١١- ص٣٧ .

(١١) عنهم بالتفصيل أنظر:

Palestine Pilgrims' Text Society, Vols. 1-13, London 1890 – 1897.

ويلاحظ أن المجموعة المذكورة تحتوي على رحلات عديدة وفيها ما عاصر مرحلة الصليبيات، وقد ترجم العديد من تلك الرحلات المؤرخ الفلسطيني أ.د. سعيد البيشاوي ،عن ذلك أنظر: دانيال الروسي، رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب ،ت.سعيد البيشاوي ، ط. عمان ١٩٩٢ م .

بورشارد من دير جبل صهيون ، وصف الأرض المقدسة ،ت.سعيد البشاوي ،ط.عمان١٩٩٥م.

يوحنا فورز بورج ، وصف الأرض المقدسة في فلسطين للرحالة الألماني يوحنا فورز بورج ، ت. سعيد البيشاوي ،ط.عمان ١٩٩٧م.

ثيودريش ، وصف الأماكن المقدسة في فلسطين للرحالة الألماني ثيودريس ، ت.سعيد البشاوي ورياض شاهين ،ط.عمان ٢٠٠٣م .

محمد مؤنس عوض ، الرحالة الأوروبيون في مملكة بيت المقدس الصليبية ١٠٩٩- ١١٨٧ م ، ط.القاهرة ١٩٩٢م ، ص٤٢- ص٢٣٨ ، الرحالة الأوربيون

في العصور الوسطى ط.القاهرة ٢٠٠٤م ،ص١٥- ص٧٩، من رحالة الشرق والغرب في العصور الوسطى ،ط.القاهرة ٢٠٠٦م، ص٦٩-ص٧٥ ، فصول ببليوغرافية في تاريخ الحروب الصليبية ،ص٤١- ص٤٥ ، دانتسيغ، الرحالة الروس في الشرق الأوسط ،ت. معروف خزنه دار ،ط.دمشق ٢٠٠٨م ، ص٢٥- ص٢٩.

(١٢) عن ذلك الرحالة على نحو خاص أنظر رحلته والدراسات عليها :

Burchard of Montsion, description of the Holy land, Tr..A.Stewart, P.P.T.S., Vol.VII, London 1896.

و أنظر دراسة المؤرخ الإسرائيلي أربيه جرابوا المهمة :

A.Grabois, "Christian pilgrims in the Thirteenth century and the Latin kingdom of Jerusalem: Burchard of Mount sion", in Outremer studies in the History of the Crusading kingdom of Jerusalem, Ed.by B.Kedar, R.Smail, H.E.Mayer , Jerusalem 1982, PP.285-296 .

أيضاً:

محمد مؤنس عوض ، " رحلتا إبن جبير (ت ١٢١٧م) وبوركهارد من جبل صهيون (ت بعد ١٢٨٣م) في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية – دراسة مقارنة "، مجلة بحوث الشرق الأوسط – جامعة عين شمس ، العدد(٢٢) مارس ٢٠٠٨م ،ص٢٨- ص٥٠ .

(١٣) عن ذلك أنظر :

John de Villiers, A letter of John deVilliers Master of the Hospital describing the Fall of Acre, in E.J.King, The Knights Hospitallers in the Holy land, London 1930, PP.301-303.

بيبرس الدواداري ، زبدة الفكر من تاريخ الهجرة ، تحقيق زبيدة عطا ، رسالة دكتوراه كلية الآداب عام ١٩٧٢م ، ص٣٢٥.

وهذه الدراسة الحديثة :

محمد فوزي رحيل ، نهاية الصليبيين (فتح عكا ٦٤٨-٦٩٠هـ/١٢٥٠-١٢٩١م) ، ط.القاهرة ٢٠٠٩م ، ص٣٩-ص٣٤٥ ،و هي في الأصل أطروحة دكتوراه تحت إشرافي .

(١٤) نفسه ، ج٢ ،ص١٠٥٤ .

(١٥) نفسه ، ج٢ ، نفس الصفحة .

(١٦) نفسه ، ج٢ ، نفس الصفحة .

(١٧) نفسه ، ج٢ ،ص١٠٥٦ .

(١٨) عن مجمع نابلس عام ١١٢٠م أنظر :

William of Tyre, Vol II, P.535-536.

R.Rohricht, Regesta Regni Hierosolymitani, Innsbruck 1893, p.20.

H.E.Mayer,"The Concordat of Nablus", J.E.H., vol.XXXIII, 1982, PP.531-543.

S.Runciman, A History of the Crusades, vol.II, London 1977, p.156.

J.Prawer, Crusades Institutions, Oxford 1980, pp.15-16.

J.Richard," The Political and Ecclesiastical Organization of the Crusader states", in setton A History of the Crusades , vol.V , Wisconsin 1989, p.207.

حسين عطيه، " مجلس نابلس ٢٣ يناير ١١٢٠م وأحوال مملكة بيت المقدس الصليبية " ، ضمن حولية التاريخ الإسلامي والوسيط م (١) .ط.القاهرة ٢٠٠٠/٢٠٠١م ،ص٣٦ – ص٩٦ ، جان ريتشارد " وضع المرأة في الشرق اللاتيني "، ضمن كتاب حسن عبد الوهاب ، مقالات وبحوث في التاريخ الإجتماعي للحروب الصليبية ،ط.الأسكندرية ١٩٩٧م،ص١٦٤ ، محمد مؤنس عوض ، إغارات أسراب الجراد وأثرها في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ١١١٤-١١٥٩م / ٥٠٩-٥٥٤هـ ،ط. القاهرة ٢٠٠٢م ،ص٢٧ ، سعيد البيشاوي ، نابلس الأوضاع السياسية والإجتماعية والثقافية والإقتصادية في عصر الحروب الصليبية ٤٩٢-٦٩٠هـ/١٠٩٩-١٢٩١م ، ط. عمان ١٩٩١م ،ص٨١ .

(١٩) وليم الصوري ، المصدر السابق ،ج٢ ،ص١٠٥٧ ، حاشية (١).

و عن الملك فيليب الثاني أغسطس أنظر :

Guillaume de Nangis , les Gestes de Philipe Augustus , Extraits des grand Chroniques de Frans , R.H.G.T.XVII , PP.346-417.

W.H.Hutton, Philip Augustus, New York 1970, J.Baldwing, The Government of Philip Augustus, California 1980, T.Jones and A.Ereira, Crusades, London 1994.

فاطمة الشناوي ، فيليب أغسطس ملك فرنسا ١١٨٠ – ١٢٢٣م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة حلوان عام ٢٠٠٣م ، رسالة علمية جديرة بكل تقدير لمؤرخة متميزة وهي بإشراف المؤرخة القديرة أ.د.زبيدة عطا .

(٢٠) عن وليم الفاتح أنظر :

William of Poitiers, Deeds of Duke William, in Houts, The Normans in Europe, Manchester 2000, pp.74-75.

G.B.Adams, The History of England from the Norman Conquest to the death of John (1066-1216), London 1905, pp.67-78.

M.Chibnall, The Normans, Massachesttle 2000, P.29.

محمد محمد مرسي الشيخ ، "الفتح النورماني لإنجلترا – ملحمة فريدة في تاريخ إنجلترا ونورمانديا في العصور الوسطى "ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط ، م(٣)، ط.القاهرة ١٩٨٣م ،ص٢٤٧-ص٢٥١ ، سعيد السيد فرغلي ، "إضمحلال حكم الأنجلوسكسون في إنجلترا ٩٧٩ -١٠٦٠م /٣٦٨ - ٤٥٨هـ" ،

ضمن كتاب بحوث في تاريخ العصور الوسطى ، كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران ،ط.الأسكندرية ٢٠٠٤م ،ص٢٩٤-ص٤٩٥ ، نور الدين حاطوم ، تاريخ العصور الوسطى في أوروبا ،ط.دمشق ١٩٨٢م ،ص٦٩٠ .

(٢١) عن ذلك أنظر :

The Leper King and his heirs, Cambridge 2004, p.181

إبن شداد ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، ط.القاهرة ٢٠٠٠م ، ص٩٧، المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق:محمد مصطفى زياد، ط. القاهرة ، ج١ ، ص١٩٨ ، جمال الدين الشيال ،" الجاسوسية في حروب بني أيوب " ،ضمن كتاب دراسات في التاريخ الإسلامي، ط.بيروت ١٩٦٤م ، ص٧٣- ص٧٧، صلاح الدين بحيري ،"المخابرات الإسلامية في مواجهة الصليبيين "، مجلة كلية الأثار- جامعة القاهرة ، العدد(٣) عام ١٩٨٩م ،ص١٨-ص٢٣ ، سلامه البلوي ، "نظم الإستخبارات الأيوبية في عهد صلاح الدين"، مؤته للبحوث والدراسات ،م (٢٢)، العدد عام ٢٠٠٧م ،ص١١- ص٣٦ .

و المؤرخ المذكور إهتمامه الأول – ومنذ أعوام طويلة – منصب على الدراسات الأمنية فهو رائد فيها .

(٢٢) عن معركة حطين أنظر :

إبن شداد ، المصدر السابق ،ص٧٥- ص٧٩ ،العماد الأصفهاني ، الفتح القسى في الفتح القدسي، ط. القاهرة ب-ت ،ص١٤ – ص٢٣ .

The Old French Continuation of William of Tyre 1194-1197, in the conquest of Jerusalem and the Third Crusade , ed.by P.W.Edbury, Hampshire 1996, pp.158-163.

B.Kedar (Ed.), The Horns of Hattin, Jerusalem 1992.

مجموعة من الباحثين ، حطين صلاح الدين والعمل العربي الموحد ،ط.القاهرة ١٩٨٩م، جوزيف نسيم يوسف ،"معركة حطين خلفياتها ودلالاتها "، عالم الفكر، م (٢٠) ،العدد (١) عام ١٩٨٩م ،ص٥١- ص٧٦ ،عرب دعكور ،الدولة الأيوبية تاريخها السياسي والحضاري ، ط.بيروت٢٠٠٦م ،ص١٠٥- ص١٢١، وفاء محمد علي ، قيام الدولة الأيوبية في مصر والشام، ط.القاهرة ١٩٨٧م، ص١٣٤- ص١٣٦ ،سحر السيد عبد العزيز سالم ، دراسات في تاريخ مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي ،ط.الأسكندرية ٢٠٠٦،ص١١٣- ص١١٨،محمود إبراهيم ،حطين بين أخبار مؤرخيها وأشعار معاصريها،ط.عمان ١٩٨٧م، ص١٨- ص٨٩، محسن محمد حسين،الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين،ط.بيروت ١٩٨٦م، ص٤١٦- ص٤٣٠.

(٢٣) عن التنصير عصر الحروب الصليبية أنظر :

Jacques de vitry, A History of Jerusalem, Tr. A.Stewart, P.P.T.S., Vol IX, London 1896, P.138, Oliver of Padenborn, The Capture of Damieta, Trans. By John Cavigan, Philadelphia 1948, P.38.

أسامه بن منقذ ، الإعتبار ،تحقيق: فيليب حتي، ط.بيروت ١٩٨١م ،ص١٦٨ ، إبن جبير ، الرحلة، ط.بيروت ١٩٤٨م ، ص ٢٨١ .

M.Baldwin, "Mission to the East in the Thirteenth and Fourteenth centuries", in Setton, A History of the Crusades, vol.V , Philadelphia 1985, PP452-518.

B.Kedar, Crusade and Mission, European Approaches to the Muslims, Princeton 1988.

أفضل دراسة في موضوعها منذ صدورها حتى الآن .

حسن عبد الوهاب،"المحاولات التبشيرية في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية" ، مجلة كلية الآداب – جامعة الأسكندرية ،م (٣٨) ، عام ١٩٩٠م ، محمد مؤنس عوض ،"المسيحية والإسلام بين الإعتناق والإرتداد عصر الحروب الصليبية"، ضمن كتاب الحروب الصليبية السياسة- المياه – العقيدة ، ط.القاهرة ٢٠٠١م ،ص٩١- ص١٠٢ ، علي إبراهيم النملة، التنصير في المراجع العربية دراسة ورصد وراقي للمطبوع ،ط.الرياض ١٩٩٤م ،ص٣٨- ص٣٩.

و يقوم حالياً الباحث اليمني الواعد/ محمد المقدم بإعداد أطروحته للدكتوراه عن التنصير عصر الحروب الصليبية في كلية الآداب – جامعة المنصورة ، وأتوقع أن تكون رسالة قيمة من خلال إصداره السابق عن الإغتيالات في بلاد الشام والجزيرة عصر الحروب الصليبية ،ط.القاهرة ٢٠٠٩م .

(٢٤) **عن مدرسة طليطلة للترجمة أنظر :**

جمعه شيخه ، " دور مدرسة الترجمة بطليطلة في نقل العلوم العربية إلى أوروبا"، ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات ، ط.الرياض ١٩٩٦م،ج١، ص١٢٥- ص١٤٣، أميركو كاسترو، حضارة الإسلام في أسبانيا دراسة تاريخية مقارنة في النقد والأدب والسير والتراث ، ت. سليمان عطار،ط.القاهرة ١٩٨٣م،ص٦٦، لطفي عبد البديع ،الإسلام في أسبانيا، ط.القاهرة ١٩٥٨م ،ص٢٩، محمد سويسي ، إنتقال العلوم العربية والحضارة

الإسلامية إلى المغرب ، ط.تونس ١٩٥٨م ،ص٤- ص٨، ماريا جيوس ، الأدب الأندلسي ،ت.أشرف علي عدور، المشروع القومي للترجمة،ط.القاهرة ١٩٩٩م،ج١،ص٢٨، سلامه البلوي ،المثاقفة بين العرب والغرب (التجربة الأندلسية نموذجاً)، المؤرخ المصري ،العدد(٢٩) يناير ٢٠٠٦ ،ص٢٠٤ ، فرانكو كارديني، أوروبا والإسلام تاريخ من سوء التفاهم ،ت عماد البغدادي ، ط.القاهرة ٢٠٠٨م ،ص١١٢ .

(٢٥) **بطرس المبجل** ،فرنسي الأصل قام برحلة إلى أسبانيا بدعوة من الفونسو السابع وقد حدث ذلك بين عامي ١١٤٣،١١٤١م ، وشكل لجنة بمساعدة رجل يدعى ريموند التطيلي من أجل ترجمة القرآن الكريم ، وقد توفي عام ١١٥٦م ،و يلاحظ أن هناك من الباحثين من إعتبره أول مستشرق ، عنه أنظر :

Peter the Venerable, The letters of Petei the Venerable, ed.Giles Constable, Cambridge 1987.

V.Berry,"Peter the Venerable and the Crusades", in Constable and Kritzeck (Eds.), Petrus Venerabilis 1156-1955, Studies and Texts commemorating of his death, Rome 1956.

Kritzeck, Peter the Venerable, Princeton 1964, pp.3-47.

R.Southern, Western Views of Islam in the middle Ages, Cambridge 1962, p.38.

اليكس جورافسكي ، الإسلام والمسيحية ، ت.خلف محمد جراده ، سلسلة عالم المعرفة ، ط.الكويت ١٩٩٦م ،ص٨١- ص٨٤ ، نجيب العقيقي ، المستشرقون ،

ط. القاهرة ١٩٦٥م ،ج١ ، ص١٢٢- ص١٢٣ ، ياسر عبد المعبود ،أبيلارد ومكانته في الثقافة الأوروبيه الوسيطه (١٠٧٩-١١٤٢)، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية البنات – جامعة عين شمس عام ٢٠٠٧، ص٢٢٥- ص٢٢٩.

(٢٦) صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى ،ت.رضوان السيد ،ط.بيروت ٢٠٠٦م،ص٨٠ .

(٢٧) بورشارد من دير جبل صهيون ،المصدر السابق ،ص .

(٢٨) إبن أبي أصيبعه ، عيون الأبناء في طبقات الأطباء ، تحقيق: نزار رضا ، ط.بيروت ب-ت ، ص٣١٩ ، حاجي خليفة ،كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ط. أستانبول١٩٤٣م ، ج٢،ص١٣٨ ،كارل بروكلمان ،تاريخ الادب العربي ت.السيد يعقوب بكر ، ط.القاهرة ١٩٧٧م، ج٤،ص٢٩١، كمال السامرائي ، مختصر تاريخ الطب العربي، ط. بغداد١٩٨٥م، ج١، ص٢٧د ، إدوارد براون، الطب التربي ،ت.داود سليمان ،ط.بغداد ١٩٨٦م ،ص٥٦-ص٥٧، محمد مؤنس عوض ،" أضواء على الطب في المناطق الصليبية في المرحلة من ١٠٩٨-١١٧٤م / ٤٩١-٥٧٠هـ "،ضمن كتاب الحروب الصليبية دراسات تاريخية ونقدية ،ط. عمان١٩٩٩م ، ص١٣٤.

(٢٩) **عن مدرسة سالرنو الطبية أنظر :**

G.W.Corner ,"The Rise of Medicine at Salerno in the Twelfth century", A.M.H., Vol III, Jan.1931, pp.1-16, A.G.Chevalier, "The Beginnings of the School of Salerno" , C.S., VOL. V , 1941, PP.1719-1724, P.O.Kristeller, "The

School of Salerno, its development and its contribution to the History of learning", B.H.M., VOL.XVII, 1945, PP.138-194.

محمد مؤنس عوض ، من إسهامات الطب العربي الإسلامي في العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٩٧م،ص٣١- ص٣٢ ، محمود الحاج قاسم ، الطب عند العرب والمسلمين تاريخ وإسهامات، ط. جدة١٩٨٧، ص٣٨٧- ص٣٨٨.

(٣٠) عن ريموند لول أنظر :

S.Zweemer, Raymond Lull first Missionary to the Moslems, London 1902.

E.A.Peers, Life of Ramon Lull, London 1927.

عزيز سوريال عطية ، الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب ،ت.فيليب صابر سيف ،ط.القاهرة ١٩٩٠م ،ص٨٣- ص٨٤، علي عوده الغامدي،"الراهب الفرنسيسكاني ريموند لول ومحاولاته نشر النصرانية في شمال أفريقيا"،المؤرخ العربي،العدد(٦) ، م(١)، مارس ١٩٩٨م.

(٣١) محمود الحويري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد ،ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص٢٣٧.

(٣٢) عن الإستشراق أنظر :

عفاف صبرة، المستشرقون ومشكلات الحضارة ط.القاهرة ١٩٩٧م ،ص١١- ص٤٦ ،كارولين جولر، مستشرقو المدرسة الإيطالية ،ت.رانيا قرداح ،ط.دمشق ٢٠٠٥م ،ص٢٥- ص١٧١ ، خيري منصور ،الإستشراق والوعي السالب ،ط. بيروت ٢٠٠١م،ص٢١- ص٥٩، محمد الدعمي، الإستشراق : الإستجابة الثقافية

الغربية للتاريخ العربي الإسلامي ،ط.بيروت ٢٠٠٦م ؛ ص٣١- ص٦٦، مازن مطبقاني ،الإستشراق والإتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس ،ط.الرياض ١٩٩٥م ، ص١٣- ص٥٥٣،لخضر شايب ،نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الفكر الإستشراقي المعاصر ، ط.الرياض ٢٠٠٢م ،ص٢٤- ص٧١ دراسة ممتازة، شوقي أبو خليل ، في الميزان كارل بروكلمان،ط.دمش ١٩٨٧م ، ص١٣- ص١٧٢، عصام سخنيني، المستشرقون ومصطلحات التاريخ الإسلامي تحليل ونقد ، ط. عمان ٢٠٠٧م ، ص١٥- ص٥٤ ،عبد الحميد زقزوق ،الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ،ط.الدوحة ١٩٨٣م ،نجيب العقيقي، المستشرقون ،٣ أجزاء ، ط.القاهرة ١٩٦٥م ، إدوارد سعيد ، الإستشراق ،ت.كمال أبو ديب، ط.بيروت ٢٠٠١م ،من أفضل ما كتب عن الإستشراق من جانب مفكر فلسطيني بارز راحل ، وأنظر كتابه : تعقيبات على الإستشراق ، ت. صبحي الحديدي ، ط.بيروت ١٩٧١م ،محمد إبراهيم الفيومي ، الإستشراق رسالة إستعمار، ط.القاهرة ١٩٩٣م .

(٣٣) مارينو سانتو، والملقب بالكبير وهو تاجر ودبلوماسي ومؤرخ من البندقية ، ولد عام ١٢٧٠ وتوفي بعد ٩ مارس ١٣٤٣م ،و قد إنحدر من عائلة بندقية أرستقراطية، وأرتحل إلى مناطق عديدة في نطاق حوض البحر المتوسط خلال المرحلة ما بين عامي ١٢٨٩، ١٣٣٣م ، وكان يدعو إلى قيام حملة صليبية ضد مصر كذلك ، دعا إلى وحدة الكنائس عنه أنظر :

Marino Santo, Secrets for true Crusaders to help them to recover the Holy Land, Tr. Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol.2, London 1896 .

وهناك أيضاً ترجمة عربية غير مكتملة، أنظر :

مارينو سانتو ، كتاب الأسرار للمؤمنين بالصليب في إسترجاع الأرض المقدسة والحفاظ عليها، ت. الأب سليم رزق الله ،ط.بيروت١٩٩١م .

جمال فاروق الوكيل ، تطور إستراتيجية الحروب الصليبية في القرن الرابع عشر الميلادي في ضوء كتابات مارينو سانتو ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة طنطا عام ٢٠٠٦ م، ص٥١- ص٥٨ ، حسين السيد النحال، الحروب الصليبية المتأخرة في مصر وتونس في أواخر العصور الوسطى ١٣٦٥-١٤٠٧م ،رسالة دكتوراه غير منشوره ، كلية الآداب – جامعة عين شمس عام ١٩٩١م ،ص١١٥- ص١١٧ ،محمد مؤنس عوض ، الرحالة الأوربيون في العصور الوسطى ، ص١٠٣- ص١٠٩ ، الإمبراطورية البيزنطية ، ص٧٥ ، حاشية (١).

(٣٤) أنظر كتابه:

A.S.ATiye, The Crusades in the later middle ages, London 1934, Id, The Crusade of Nicopolis, London 1934.

وعن ذلك المؤرخ أنظر :

Medieval and Middle Eastern Studies, in Honor of Aziz Suryal ATiya, ed.by Sami A.Hanna, Leiden 1972, PP.5-8.

محمد مؤنس عوض، رواد تاريخ العصور الوسطى في مصر ، سلسلة تاريخ المصريين،ط.القاهرة ٢٠٠٧م ،ص٢٣٤- ص٢٤٤.

(٣٥) عن ذلك أنظر على سبيل المثال هذه الدراسة :

B.Victor, the Last Crusade, New York 2004.

و كذلك الترجمة العربية:

باربارا ڤيكتور، الحروب الصليبية الأخيرة ، ت.حسن عمر ،ط.الدار البيضاء .

(٣٦) عن يوشع براور أنظر :

Outremer Studies in the History of the Crusading Kingdom of Jerusalem, ed.by B.Kedar, R.Smail, H.E.Mayer, yed Izhak Ben-zvi Institute, Jerusalem1982, PP.1-13.